ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: http://www.jtuh.tu.edu.iq

Crafts and Folk Industries in Iraq in Last Ottoman Era 1869 – 1914

Dr. Husham Sawadi Hashim

Assist Prof./ Ninevah University

Dr. Mohamed Ali Mohamed Ofein

Assist Prof./ College of Arts/ University of Mosul

E-mail/ mohamed.a.m@uomosul.edu.iq

* *Corresponding author: E-mail* : husham.hashim@uoninevah.edu.iq

Keywords:
Crafts,
Folk industries,
Pottery,
Textile industry,
Craft union

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received 13 June. 2021
Accepted 27 Dec 2021
Available online 26 Feb 2022
E-mail
journal.of.tikrit.university.of.humanities@tu.edu.i
E-mail : adxxxx@tu.edu.iq

A B S T R A C T

The folk crafts and industries in Iraq kept their artisanal organizations during the last Ottoman era, as this era dominated the simple production relations that did not fit the development witnessed by the modern industry, so most of the folk crafts and industries remained based on the basis of simple handicraft production that did not go beyond being the remains of home and household crafts which was prevalent in the past and managed by simple machines, and most of its production went to local consumption. We note that most of the popular industries were linked to the population's need to cover their daily needs, such as the textile and metal industries, the wood and leather industries, and the pottery and ceramic industries. The craft unions were considered the organized institutions and the preservation of folk industries. Although the system of crafts and items is old in formation during the Ottoman era, the trade unions and items witnessed a remarkable development in their institutions and formations in proportion to the temporal and spatial development witnessed by the reality of popular industries in Iraq, and the crafts items played to organize the craft systems. Professionalism and fair prices as well as organizing professions and their divisions in terms of preparing the craftsman and his belonging to the class; in other words, it is a social and economic union that organizes the general structure of each craft, starting with the head of the craft or its sheikh, down to the smallest worker in it in terms of rights and duties.

© 2022 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: http://dx.doi.org/10.25130/jtuh.29.2.2022.20

الحرف والصناعات الشعبية في العراق في العهد العثماني الأخير 1869-1914

د. هشام سوادي هاشم/ استاذ مساعد / جامعة نينوى

د. محمد علي محمد عفين / استاذ مساعد / كلية الآداب / جامعة الموصل

الخلاصة:

بقت الحرف والصناعات الشعبية في العراق محافظة على تنظيماتها الحرفية خلال العهد العثماني الاخير ؛ حيث سادت هذا العهد العلاقات الانتاجية البسيطة لم تتناسب مع التطور الذي شهدته الصناعة الحديثة

، لذلك ظلت معظم الحرف و الصناعات الشعبية قائمة على اساس الانتاج الحرفي البسيط لم تتعدى كونها بقايا للحرف البيتية والمنزلية التي كانت سائدة سابقا والتي تدار بالآلات البسيطة والتي كان معظم انتاجها يذهب للاستهلاك المحلي. ونلاحظ ان معظم الصناعات الشعبية ارتبطت بحاجة السكان لتغطي حاجاتهم اليومية ؛ كالصناعات النسيجية و المعدنية و والصناعات الخشبية والجلدية والصناعات الفخارية والخزفية . وفضلا عن الحرف والصناعات الشعبية وكموضوع مكمل لها ظهرت ما يسمى بالأصناف و النقابات الحرفية والتي اعتبرت المؤسسات المنظمة والمحافظة على الصناعات الشعبية ورغم ان نظام الحرف والاصناف قديم التشكيل الا ان وخلال العهد العثماني شهدت النقابات والاصناف تطورا ملحوظا في مؤسساتها وتشكيلاتها بما يتناسب مع التطور الزمني والمكاني الذي شهده واقع الصناعات الشعبية في العراق ، ولعبت الاصناف الحرفية على تنظيم النظم الحرفية والمهنية و إقرار اسعار عادلة فضلا عن تنظيم المهن وتقسيماتها من حيث تهيئة الحرفي وانتماءه للصنف ؛ وبمعنى آخر عبارة عن نقابة اجتماعية واقتصادية تنظم الهيكل العام لكل حرفة بدءا رئيس الحرفة او شيخها و صولا الى أصغر عامل فيها من حيث الحقوق والواجبات .

الكلمات المفتاحية: الحرف، الصناعات الشعبية، صناعة الفخار، العهد العثماني، صناعة النسيج، النقابات الحرفية

المحور الاول: أهم الحرف والصناعات في العراق

تعد الثقافة الشعبية فضاءً معرفيا واسعا، يكون بمجمله ما يعرف بالتراث، الذي هو علم من العلوم الإنسانية له وظيفته الإنسانية في حياة الشعوب. ولا تفهم هذه الوظيفة الا علي ضوء دراسة مكونات الثقافة الشعبية؛ كالتقاليد الشعبية والحرف والصناعات والمعتقدات والعادات والتقاليد والمورث اللغوي وغيرها. فإذا ما تغيرت الثقافة الشعبية في جزء منها غابت عن التراث والموروث الشعبي لأي مجتمع بعض من عادلته وتقاليده واعرافه والتي غالبا ما تظهر بأطر جديدة للثقافة الشعبية تناسب المرحلة التي تسودها.

وتشكل الحرف والصناعات جزءا مهما من الثقافة الشعبية لأي مجتمع؛ لما لها من علاقة وطيدة بحياة الإنسان وثقافته. وهذا ما ينطبق على الحرف والصناعات في المجتمع العراقي. ومن المعروف ان تعدد الصناعات والحرف في أي مجتمع إنما يدل ذلك على تقديم المجتمع وتنوع حاجاته، والمجتمع العراقي في العهد العثماني بلغ شانا كبيرا من حيث تعدد الحرف وتنوعها وكثرة الصناعات ودقتها[1].

والمتتبع للصناعات والحرف التي كانت سائدة في العراق خلال الفترة التي تعالجها هذه الدراسة يجد بصورة جلية ان ما كان سائدا منها أصبح جزء رئيسيا ومهما من نسيج الثقافة الشعبية/ المجتمعية،

اخذت تقسم السكان بحسب ما كان يحترفه الفرد من هذه الصناعات، فنلاحظ ان معظم الحرفين اخذو ينتسبون الى المهنة التي كانوا يعملون فيها. بل ان غالبية التجمعات السكانية، الاحياء/ المحلات، في داخل المدن كانت مقسمة بحسب الحرف والعاملين بها، فكان هناك على سبيل المثال محلة للصاغة والصفارين والنجارين والكوازين والنساجين.... الخ[2].

تختلف طبيعة المجتمعات السكانية اختلافا كبيرا بعضها مع البعض الأخر، متأثرة بالمناخ الطبيعي وطبيعة المنطقة التي تعيش فيها. ويكون هذا الاختلاف من الناحية الاجتماعية والمعيشية بصورة اوضح. لكونه متأتيا من طبيعة البيئة الي تعيش فيها تلك المجتمعات، والتي تعتمد فيه على ما تحتويه بيئتها من موارد طبيعية ومواد اولية. ويكون هذا الاعتماد بارزا وواضحا في المجتمعات الريفية التي لم تتفاعل بالتطور الحضاري، ولم يخضع ناتجها الاقتصادي لسيطرة ألاله و أدوات الإنتاج[3].

والحقيقية ان لكل مجتمع ميزة خاصة يتسم بها وطابعا معينا يتصف به، ولعل مردود هذه الميزة او هذا الطابع يبرز بشكل خاص في نمطية الحرف والصناعات الشعبية التي تتلائم مع الطبيعة والمناخ الذي يعيش فيه ذلك المجتمع ، لذا قد نجد ان الصناعات تتأثر تأثيرا كبيرا بكل من المناخ وطبيعة المنطقة الجغرافية وما تحتويه من مواد اولية ضرورية لقيام هذا النوع من الصناعات في بيئة ما يخالف صناعات اخرى في بيئة مختلفة[4].وهذ الامر ينجر على ما كان سائدا في العراق من حرف وصناعات شعبية ابان العهد العثماني اذ نلاحظ تباينا ملحوظا ما بين الصناعات في شمالي العراق وجنوبه، بل وقد يبلغ هذا الاختلاف حدا ما بين قراه واريافه المتعددة[5].

الحرف والصناعات الشعبية:

استمرت الحرف والصناعات الشعبية في مدن العراق محافظة على تنظيمها وطرائقها التقليدية في العمل. وبلا شك ان واقع الصناعات في العراق قد ورث وضعا مختلفا في العهد العثماني، إذ سادت خلاله علاقات انتاجية مختلفة، ولم تجر الا محاولات قليلة لجعل الصناعات العراقية تتناسب مع ما وصلت اليه الصناعة الحديثة[6]، لذلك استمرت معظم الصناعات العراقية صناعات شعبية قديمة؛ حيث لم تتعد كونها بقايا للحرف والصناعات الحانوتية و البيتية ،والتي سبق وان كانت مزدهرة في عهد الدولة العباسية[7]، الامر الذي جعل معظم الانتاج الصناعي يعتمد على النظام الحرفي القديم، بالآلة البسيطة التي غالبا ما كانت تدار بالأيدي احيانا او بواسطة الحيوانات في احيان اخرى. وكان يقتصر بيع منتجات الصناعات الشعبية كلها تقريبا على الاستهلاك المحلي[8].

كانت غالبية سكان العراق حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر من الفلاحين ذوي الدخل القليل والقوة الشرائية المحدودة ، واذا اضفنا الى ذلك جهل الفلاح و تحفظه إزاء أي تغير او تبديل كثير من ادواته المنزلية و الحقلية لعلمنا أسباب تأخر الصناعات المحلية الشعبية في العراق ، فدخل الفلاح

القليل كان يضطره الى ممارسة بعض الحرف كعمل المحراث او تصليحه او قيام المرأة بغزل و حياكة الصوف او القطن لأفراد الغائلة و طحن الحبوب او بناء البيت او عمل بعض المواد المنزلية ..الخ [9]

ومما لاشك فيه ان نوع الطلب وكميته هما اللذان يحددان نوع البضائع التي نجدها في سوق القرية او المدينة ، وبعبارة أخرى لما كان الفلاح فقيرا وجاهلا كان طلبه يقتصر على الضروريات الاساسية في حياته اليومية ، فهي اولا ادوات زراعية مثل المحراث و المنجل و المبذر، وثانيا ادوات منزلية للطبخ والأكل مثل القدور والاواني والرحى وغيرها ، وثالثا ملابس بسيطة كالعباءة والزبون واليشماغ ، وهذه كلها مصنوعات قديمة وبسيطة لذلك كانت الحرف والصناعات السائدة في مدن العراق _ كما ذكرنا سابقا _تقليدية وفي وضع ثابت على الرغم من مرور السنين الطويلة . [10]

كان الحرفيون في المدن الصغيرة يشتغلون في بيوتهم او في حوانيت صغيرة ، كما كانوا يستعملون ادوات انتاج بدائية وكان الحرفي يقوم بالإنتاج وحده او يستعين بأولاده او ببعض الاطفال الذين يرسلهم اوليائهم ليتعلمو الحرفة او ألصنعة و غالبية منتجات هذه الحرف كانت بعيدة عن صفقات التجارة الخارجية ولم يؤثر فيها تقدم وسائل النقل وغزو المصنوعات الاجنبية للأسواق العراقية . [11]

وينقسم الحرفيون الى ثلاثة أقسام هي:

1 / الحرفيون المستقلون الذين يعملون في بيوتهم او في حوانيت خاصة و بأدوات يملكونها بأنفسهم و يستعملون مواد اولية يشترونها و تكون سوقهم التجارية محدودة قد لاتتعدى المدينة نفسها .

2 / أصحاب المصانع وهم الذين كانوا يشتغلون في محلات نظمت بصورة شبيهة بالمصنع أقيمت فيها ادوات الانتاج بعدد كبير يحركها مساعدون من ذوي الخبرة (إسطوات) وعمال .

3 / عمال ماهرون و أولئك كانوا يشتغلون مستقلين او بالاشتراك مع غيرهم وكانوا يعتمدون في بيع منتجاتهم على وسيط يكون عادة من التجار وتكون سوقهم أوسع من سوق الحرفيين وربما اصبحت في بعض الاحيان خارجية كصناع السجاد والاغطية والحرير وغيرها من الصناعات . [12]

كان الحرفيون العاملون في مختلف الحرف والصناعات خليط من سكان المدن العراقية إلا أننا نلاحظ بعض التخصص او التفوق لدى جماعة معينة في بعض الحرف والصناعات على الجماعات الاخرى ، فقد تميز الصابئة مثلا بالنجارة والحدادة والصياغة [13]، وأختص بعض الأرمن في البصرة بالصياغة وصناعة الاحذية ايضا ،[14] ويفهم من بعض النصوص المتوفرة ان اوضاع الحرفين لم تكن جيدة بل كانوا خاضعين لضرائب عديدة و باهضه وظروف عمل سيئة ،[15] وكان اغلبهم – أي الحرفيين – يعملون في اماكن او دكاكين صغيرة مملوكة من قبلهم عدا الذين يعملون في بعض المحلات الكبيرة مثل العاملين المعاصر " معصر خانة "او معامل الدباغة " دباغ خانة " او معامل البارود " بارود خانة "

التي يعمل فيها عدد من الحرفيين سواء باجر يومي او مرتب شهري ، في حين ان القسم ألآخر – وكما ذكرنا سابقا –من الحرفيين يقومون بشراء المواد الاولية من قطن او الصوف او الجلود وغير ذلك من السوق ويقومون بصنع بعض الحاجات منها [16] ،وبيعها مرة ثانية في السوق سواء بشكل منفرد الى المستهلك مباشرة او بالجملة الى التجار او اصحاب المحلات الذين يشترونها من المنتج ويبيعونها الى المستهلك ، الا ان الشكل الاول من التعامل هو الذي كان شائعا بسبب ان الحرفي لم يكن يستطيع بإمكاناته المحدودة ان ينتج بالجملة للبيع للتاجر بل يقوم ببيع ما ينتجه الى المستهلك بالمفرد ليستطيع ان يأكل بثمن ما يبيع وان يشتري ما يحتاجه من مواد اولية ليعاود الانتاج وهكذا . [17]

ومن اهم الصناعات التي اشتهرت في العراق في العهد العثماني الاخير هي:

اولا: الصناعات النسيجية:

كانت الصناعات النسيجية بأنواعها المختلفة من اهم الصناعات الشعبية في العراق ابان العهد العثماني والتي ظلت حرفية بالدرجة الاولى تعتمد في انتاجها على الآلات اليدوية البسيطة كالدواليب والانوال والجوم[18]. ويذكر الرحالة البرتغالي بيدرو تكسيرا Pedro Teixeiraالذي زار العراق مطلع عام 1604[19] انه كان هناك في بغداد صناعة واسعة للأقمشة معتمدة على عدد كبير من الانوال اذ يقول "... ان البلاد تنتج الكثير من القطن والحرير ... وكانت هذه المنتجات تغزل كلها فتستخدم في الصناعات المحلية ببغداد التي كان يوجد فيها على ما يزيد على الاربعة الاف نول لحياكة الأقمشة الصوفية والقطنية والحريرية ومنسوجات الكتان"[20]. ويذكر ايضا الاب دومنيك لانزا في رحلته للموصل سنة 1756 " ان البلد _اي الموصل _ يستفيد فائدة كبيرة منه _ أي انتاج النسيج _ وكان سكان البلد كهلم يشتغلون بهذه الحرفة ومنسوجاتهم مشهورة لدقتها ونعومتها وجودة صنعها ". [21]. ومع نهاية القرن التاسع عشر كان في بغداد وحدها(178) نول يدوي، [22]وبلغ عدد الحرفيين والعمال في مصانع و ورش صناعة النسيج حوالي (3500) من مجموع عدد سكان ولاية بغداد البالغ تسعون الف نسمة ، [23] و وصفت مصنوعات بغداد النسيجية بجودتها ورواجها في الاسواق المحلية والاسواق المجاورة ، [24] ويرجع ذلك الى القدرة الفنية التي كان يملكها العاملين في هذه ألصنعة . [25]

واشتملت الصناعات النسيجية على السجاد والأقمشة المختلفة والشراشف و الإزارات والعباءات النسائية والرجالية التي تصنع من الصوف وتطرز بخيوط من الذهب والفضة[26]،كما كان ينتج انواع مختلفة من القماش المعروف بـ"الموسلين" في مدينة الموصل[27]،و "آغا أبادي" الذي كانت تصنع من الأقمشة الصيفية الخفيفة وتطرز به العباءات[28].والقماش المسمى " ألنكات" وهو قماش قطني مخطط وكذلك قماش ألألأجات وهو من القطن وقماش "القطني" والذي كان يصنع من الحرير والصوف[29]

كما ذكرنا سابقا كانت معظم الصناعات النسيجية تنتج بالآلات البسيطة كالأنوال والجوم[30]، وهي تراكيب خشبية بسيطة وغير معقدة وهنا نستطيع ان نقسم الجوم او الجومة الى ثلاثة اقسام هي:

1. جومة ام القمجي

2. جومة السوداء
3. جومة الجكجك[31].

وتتكون آلة الجومة من الاجزاء التالية:

1- النول: وهو خشبة اسطوانية الشكل تلف عليها المنسوجات وهي باطوال مختلفة لاتقل عن المتر ولاتزيد عن الثلاثة امتار. ذات طرفين فيهما نهايتان بارزتان تدخلان في تجويف الحلق. وقرب هاتين النهايتين توجد مجموعة من الفتحات تمر من خلالها قطعة خشبية تقوم بعملية دوران النول، والذي يوجد فيها شرخ طويل يمتد من نهايته بعمق الأنج الواحد. وفي هذا الشرخ مسامير توضع فيها عقد الخيوط[32]. انظر الشكل رقم (1).

2- الحلق: وهو خشبة مجوفة بطول 79سم يدور فيها النول.

3- الدجتان (الركيزتان): وتقعان على يمين ويسار الجومة، وعلى كل ركيزة يوجد حلق مجوف، والفراغ الحاصل بين الركيزتين يقدر بمترين حيث يلجأ الحائك الى وضع قطعة خشبية عريضة بطول يزيد عن عرض الركيزتين، وتسمى "التختة" وهي تعد لجلوس الحايك عليها[33] .انظر الشكل رقم (2).

4- الدفة: خشبة طويلة سمكها حوالي الأنج وعرضها ثلاث إنجات وطولها حوالي خمسة اقدام، ونظرا لكونها مشروحة طوليا فأنها تحوي المشط من جهتها السفلى فهي ملساء يمسك بها الحائك بيده اليسرة[34].انظر الشكل رقم (3)

5- الصندوقجتان: تقعان في نهايتي الدفة يمينا ويسارا. وكل صندوقجة عبارة عن خشبتين متقابلتين تكونان تجويفا يحتضن المدفع التي يدفع المكوك.

6- المدفع: خشبة صغيرة سمكها نصف انج وطولها ثلاثة انجات مشروحة من نهايتها بطريقة عرضية توضع في تجويف الصندوقجة لتسهيل حركته.

7- المسطرة: وهي خشبة تمتد بين الصندوقجة من الاسفل وترتبط معها بواسطة حلقات يرتكز عليها المشط[35].

8- المشط: شرائط رفيعة على شكل خيوط مصنوعة من قصبة مجوفة. مصفوفة الى بعضها البعض حيث تمر عبر الخيوط على النول ويرتكز المشط على المسطرة من الاسفل ومن الاعلى على الدفة. [36]

9- المكوك: كتلة خشبية مدببة النهايتين طولها حوالي الثماني بوصات ويلبس من رأسيه بقطعتين معدنيتين تقوية له و فيها تجويف يحوي على ما يعرف بـ(النبوبة) وهي عبارة عن خيوط ملفوفة على قطعة عود صغيرة وتسمى الفارة ويلف عليها الغزل ذو الالوان المختلفة ويقوم بعملية (التنبيب) أي عملية لف الغزل على الفارة أحد افراد اسرة الحائك او صانع صغير ن ويتم لف الغزل بواسطة الدولاب . والى جانب النبوبة يستعمل الحائك الملفوفات او اللفائف

وهي قطعة عود صغيرة يلف عليها الغزل الملون الذي يستخدم في النقش وتلف هذه اللفائف باليد،[37] وقد يحتاج الحائك الى مكوكين او اكثر وكل منها يحوي لون معين بحسب النقشة والزخرفة المراد حياكتها[38].انظر الشكل رقم (4)

10- الغرغر: اسم مشتق من الصوت الذي تسببه حركة الدواليب في آله الحياكة. والغرغر عبارة عن كتلة خشبية عريضة طولها حوالي (متران) وهي تعلق في مكان عال وفيها فتحات وفي كل فتحة بكرة مثقوبة من الوسط. ومن خلال هذه الفتحات تمر خشبة طويلة تجمع بكرات الخيوط مع بعضها البعض[39].انظر الشكل رقم (5) .

ونلاحظ ان حاجة السوق المحلية كانت وراء دفع الحرفين الى مزاولة الصناعات النسيجية اليدوية ؛ الا ان توسع الحركة التجارية اثر افتتاح قناة السويس 1869 ادى الى تقلص الصناعات الشعبية ،[40] بسبب تدفق المصنوعات المستوردة والتي امتازت بدقة صناعتها وانخفاض اسعارها مما انعكس على الصناعات النسيجية التي بدأت تتدهور؛ فنلاحظ ان انوال الموصل بدأت تتقلص فلم يكن في المدينة سنة 1911 سوى (500) نول ومثلهم في بغداد في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الاولى ، بعد ان كانو اكثر من (3500) نول قبل افتتاح قناة السويس. [41] ونتج عن هذا التحول أمرين سلبين هما: تدهور الانتاج اليدوي ؛ و عرقلة ظهور الصناعات الحديثة القائمة انتاج المكننة الحديثة . [42]

ثانيا: الصناعات النحاسية

وفضلا عن الصناعات النسيجية اشتهرت في العراق صناعة النحاس والتي اختص بها سوق عرف باسم (الصفارين او الصفافير) [43] وتقوم هذه المهنة على تحويل سبائك ولفائف النحاس[44] الى أدوات منزلية وتحفيات والتي كان الصفارين كثيرا ما ينقشون الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وبعض صور العمائر التراثية والإسلامية، كالمراقد المقدسة ومنارة الحدباء وأثار نينوى وملوية سامراء[45]. انظر الشكل (6)

ويمكن ان نوجز هنا اهم الصناعات النحاسية:-

1- القدور: تستخدم الصغيرة منها للطبخ ويطلقون عليها " القوشخانة " والكبيرة منها تسمى "القدر العرابي" والتي كانت تستخدم في المناسبات والولائم وفي ثكنات الجيش العثماني. [46] انظر الشكل رقم (7).

2- دلال القهوة الصغيرة والكبيرة التي تسمى "القمقم- الكمكم" و سما ورات الشاي والاواني العريضة (الطشت) وأحواض الحمام الدائرية. [47] انظر الشكل رقم (8).

3- المزهريات والاواني والصواني المنقوشة والمزخرفة التي تعلق على الجدران للزينة والثريات والميزان ومقايس الوزن[48].انظر الشكل رقم (9) .

وتصاحب مهنة الصفارين مهنة مبيض النحاس ويعرف العامل بها باسم " المبيضجي " وتعمل هذه المهنة على إزالة الصدأ من النحاس والذي اذا أهمل يسبب التسمم وفساد الطبخ[49].

ثالثا: الصناعات الجلدية:

وفضلا عن ذلك انتشرت في العراق صناعة الجلود ودباغتها، وهي من الحرف والصناعات الشعبية القديمة التي كانت تصنع باليد. واهم منتجاتها السروج والأحذية والنصول الجنط والبرادع[50].انظر الشكل رقم (10)

اما الدباغة فهي تنظيف وتجهيز الجلد للصناعة ويسمى العامل عليها بـ"الدباغ" ومكان عملها يعرف بـ"الدبغخانة". وعرفت بغداد بدباغة الجلود فكان فيها 40 مدبغة تقوم بدبغ ما يقرب من 5000 جلد غنم اسبوعيا [51]، وقد انتشرت الكثير من المحلات في منطقتي باب المعظم والكاظمية. ويذكر المقيم البريطاني جون لوريمر ان عدد محلات الدباغة في بغداد سنة 1905 كان حوالي 40 دكانا[52].وتشير المصادر انه في سنة 1908 استخدمت كل مدبغة في بغداد من واحد الى عشرة عمال واستخدمت الجلود المدبوغة _كما ذكرنا اعلاه _ في صناعة الاحذية والسروج وغيرها من المنتجات وضمت بغداد ست محلات لصناعة الاحذية ، وكان الفائض من الجلود يصدر الى خارج اسواق بغداد ،[53] وبهذا الصدد نشر المحرر الاقتصادي لجريدة (صدى بابل) مقالة جول أهمية الصناعات الجلدية وضرورة الاهتمام بها داعيا سلطات اولاية الى تطير هذه الصناعة وذلك من خلال ادخال المكائن الحديثة وتأسيس المصانع القائمة على الانتاج الميكانيكي لا الحرفي . [54] انظر الشكل رقم (11)

والى جانب مهنة الدباغة وجدت في مدن العراق مهنة الصياغة التي برع بها الصائبة[55]. والارمن[56].وهي مهنة تحويل الذهب والفضة وحفرهما وطلائه بالميناء[57].وكانت عملية تصفية معدني الذهب والفضة بطريقة بدائية. وحول هذا الامر يذكر الرحالة نيومان الذي زار العراق سنة 1873 قائلا "... كان تحفر حفرة في الارض على شكل اناء في قعره السبيكة والرصاص ويغطيان المسحوق بالطابوق ويتم الصهر من الاعلى الى ان يتم تجميد السبيكة بحيث ان الحرارة الموجودة تبين ان كانت فضة او ذهبا او أي معدن اخر، اما الشوائب فيمتصها الطابوق. وبعد ذلك تذاب في مواد كيمياوية، فيطفو ماء ازرق هو الفضة، فيزاح في الماء الى ان يتخلف في القعر مسحوق رمادي هو الذهب فيجمع ويعرض للنار الى ان يعود لونه الذهبي"[58].

رابعا: الصناعات الخشبية

ورافق الى جانب الصناعات المعدنية انتشار الصناعات الخشبية (النجارة) في مدن العراق وسوقها يعرف بسوق النجارين، وتقسم منتجاتها الى قسمين:-

أ. ما يحتاجه القرويون من الأدوات الزراعية كالفدان والمذارة [59].ومقابض الفؤوس.

ب. ما تحتاجه المنازل من صناعات خشبية كأبواب البيوت والخانات والشبابيك والكماليات المنزلية التي تعرف بـ(الجامخانات او الصندلية) وصناديق حفظ الملابس وشناسيل المنازل وصناديق حفظ المواد الثمينة التي تسمى (الصندقجة) [60]. انظر الاشكال (12-13)

ولكن اهم الصناعات الخشبية هي صناعة الزوارق والأكلاك. وكان الكلك واسطة النقل المائي الاساسية في في نهر دجلة الى الشمال من بغداد وهو معروف في العراق منذ فترات قديمة[61].ويصنع الكلك عادة من الاخشاب الطويلة وتتم صناعة على شكل مربع او مستطيل عى شاطئ النهر، حيث تصف هذه الاخشاب الواحدة الى جانب الاخرى وتشد نهايتها شدا محكما بواسطة الحبال او لحاء الشجر. [62] ثم يربط فوقها اعمدة خشبية اخرى بصورة افقية متخذة الشكل X وتحتها تربط القراب المنفوخة ، ويتم اختيار هذه القرب من جلود الغنم والماعز النظيفة والغير مثقوبة، وبعد دهنها ودبغها تصبح طرية وتشد جميع هذه القرب من اطرافها شدا محكما عدا الرقبة، حيث تستخدم للنفخ، بواسطة قصبة طويلة تسمى شبابة لنفخ القراب ،[63] انظر الشكل (14).

اما الزوارق النهرية فمنها على سبيل المثال ما كان يعرف بالسفينة وكانت تستخدم للنقل التجاري ما بين بغداد والبصرة في نهري دجلة والفرات، ويبلغ طولها (30) ذراعا واول ما يبنى صحنها، وهو عبارة عن اخشاب ممدودة سويا بطريقة عرضية، ثم يتخذ من الاخشاب لصنع المنحنيات وتسمى عند صانعي السفن عطوفا (عطفة) وتغطى السفينة من الخارج والداخل بالقار [64].

وهناك انواع اخرى من الزوارق منها الطرادة والمهيلة والشختور والدانك والبلم[65].

ومن الوسائط النهرية الاخرى التي كانت تصنع في العراق ومن فترات قديمة (القفة) وتصنع من الحلفاء او القصب او اعواد الرمان[66]وتنسج بطريقة دائرية وبعدها تطلى بطبقة سميكة من القار ثم تترك وبعدها تطلى بطبقة ثانية من القار[67] ويسمى صانعها و العامل عليها (قفجي) وهي على ثلاثة أنواع:

1. الحصان
2. الوسطانية
3. الصغيرة . انظر الشكل رقم (15) [68].

خامسا: صناعة الفخار:

وفضلا عما سبق كان لصناعة الفخار نصيبها في تشكيل صورة الصناعات الشعبية في العراق في العهد العثماني، وسوقها يسمى سوق الكوازين، ويلقب العامل فيها بـ(الكواز) [69]. ويشكل الطين المادة الرئيسية التي يصنع منها الفخار. وخلال الفترة التي تغطيها الدراسة يمكن ان تقسم المنتجات الفخارية الى قسمين هما:-

أ. الفخار الذي يصنع في ارياف العراق وقراه واهم منتجاته هي التنور ويستخدم لخبز الخبز. والمنقلة والتي تستخدم للتدفئة شتاءا بعد ملئها بالحطب وكذلك لصنع القهوة. والكوز ويستخدم لخزن الماء وتبريده للشرب. وهناك الاباريق والشربات لحفظ الماء[70].انظر الاشكال (16-17).

ب- الفخار الذي يصنع في سوق الكوازين في المدن وما يميز هذا النوع عن سابقه ان طريقة صنعه هي اكثر تطورا من الفخار المصنوع في القرى. حيث كانت تستخدم في صنعه آلة تسمى (الدولاب) والتي بواسطتها يمكن تصميم اشكال مختلفة للمنتجات الفخارية[71].انظر الشكل رقم (18).

وغالبا ما كانت منتجات الفخار تطعم بالزجاج لإعطائها جمالية في الشكل. واهم المنتجات هي الشربات واواني الطعام المزججة و نافورات الماء. والاباريق ونمط خاص من الشربات تكون كبيرة الحجم تسمى (البستوكة او البرنية) وتستخدم لحفظ الطعام كالجبن واللحم المقدد ودهن الحيوانات (الدهن الحر) والمخللات[72]. انظر الشكل رقم (19)

وفضلا عما سبق كانت هناك العديد من الصناعات والحرف الشعبية الاخرى المنتشرة في ارجاء العراق كصناعة الحصران والكراسي الخشبية من سعف النخيل وصناعة الحلويات[73]، وصناعة الزيوت التي احتلت مكانة مهمة في الصناعة المحلية، وتشير بعض المصادر الى وجود حوالي 16 معصرة في الموصل وحدها اواخر القرن الثامن عشر لاستخراج الزيت من السمسم[74]. كما ورد ذكر " المعصرخانة " في بغداد ايضا في القرن الثامن عشر[75]وقد ورد في احدى وثائق الكمرك العثمانية التي تعود الى سنة 1639 ذكر وجود مصبغة "بوبة خانه " و معمل للشمع "شمع خانه" و آخر للدبس "شيره خانه"[76]. كما وجدت في مدينة السليمانية صناعة البنادق، ويذكر انه كان في السليمانية وحدها سنة 1902 (105) من العمال المهرة في صنع الاسلحة ولكن هذه الصناعة سرعان ما تدهورت بعد الاحتلال البريطاني للعراق عام 1918[77] .

المحور الثاني: النقابات والأصناف الحرفية

بعد الانتهاء من موضوع الصناعات والحرف الشعبية يتحتم علينا دراسة بعض التنظيمات الاقتصادية والاجتماعية المرتبطة بها ونعني بذلك الاصناف[78] والنقابات [79] الحرفية. تتألف المدينة من وحدات اجتماعية تعرف بالأصناف والمهن والحرف، ولا شك ان هذه الحرف تشكل عنصر الحركة والحيوية في المدن، فسكان المدن بصورة عامة كانوا ينتسبون الى صنف (او طائفة او حرفة او كار) . ان لم يكونوا موظفين تابعين للدولة، وان هذه- الاصناف – كانت على درجات وذلك بموجب المراكز الاجتماعية، اما تدخل الدولة فقد كان لأغراض الاشراف وجمع الضرائب وكانت الاصناف مفتوحة امام مختلف طبقات المجتمع[80].

وكان نظام الطوائف يعين الدولة على حفظ النظام داخل المدن مضافا على انه يساعدها على الاتصال بالسكان عن طريق شيوخهم[81].و ان الحرف حافظت على درجاتها التقليدية الثالثة من (مبتدأ) الى (صانع) او (خلفة) الى استاذ (اسطه او معلم). [82]

وان الشيخ هو الذي يمثل الحرفة امام السلطة وهو مرجعها والمسؤول عن حفظ ارتباط (الكار) ، كما يقوم بمحاسبة من يخل بحق ألصنعة ، وتوفير العمل لكافة الاعضاء ، ولقد كانت رئاسة الحرف في الغالب وراثية. كما كان لرؤساء الحرف دور في تحديد اسعار الحرفة، وربما تجاوز ذلك الى تحديد اجور الصناع[83]، كما كانوا يقومون بعقد اجتماعات لا اعضاء الحرفة وتعين الرؤساء عليهم وبحث كل المسائل المتعلقة بالطائفة او الصنف مع السلطة وأهم هذه المسائل هي الضرائب السنوية التي تفرض على اعضاء الصنف ككل ثم يقوم الشيخ بجمعها من الاعضاء كل حسب طاقته وموارده . [84] وفضلا عن ذلك لقد كان يوجد للحرفة (ضامن) ملتزم امام حكومة الولايات (بغداد والموصل و البصرة) يقوم بجمع الضرائب المستحقة على الاصناف، ومن هذا يتوضح لنا انه من يشيخ من الاصناف يصبح مسؤولا بصورة غير مباشرة امام الضامن وليس امام الحكومة كما كان على الشيخ ان يقدم دفترا الى الضامن لكي يقوم بنفسه في الاشراف على الامور المالية باسرها، بعدما ينظم في دفتر الحسابات ويوضح فيه ماينفقه وسبب الانفاق[85].

وقد شبه بعض المؤرخين الطائفة بالنقابة بالوقت الحاضر؛ فكان هناك صنف للبقالين وصنف للزفرجية (باعة اللحم) وصنف للحدادين والنجارين و الفروجية و الاطرقجية وغيرهم[86] انظر الشكل رقم (20).

الا ان هذا التشبيه ليس دقيقا لأنه يقوم على عدم الفهم بوظيفة الطائفة ؛ ولكن الامر بالنسبة للطائفة يختلف كل الاختلاف . وكما يذكر بانه لا يوجد فرق بين صاحب العمل وبين العامل ان سبب ذلك يعود الى ان الانتاج الصناعي لم يكن واسعا كما هو عليه الحال بالوقت الحاضر، ومن هذا يجب ان لا يفهم بان الصناعة خلال العهد العثماني لم تكن تعرف الفرقة من الناحية الاقتصادية، فلقد كانت الطائفة تضم عمالا لا يمتلكون دكاكين ولا حتى اداة من ادوات الانتاج بل ان عملهم كان بالأجر اليومي، وهذا هو عكس اصحاب الصناعة ،وفضلا عن ذلك يمكن القول بان نظام الطوائف ليس نظاما اقتصاديا فقط بل هو نظام اجتماعي لأنه يوجد في الريف ايضا فان شيخ القرية يعتبر بمثابة شيخ الطائفة من حيث مسئولياته[87].

ان روؤساء الحرف وحدهم الذين كان يسمح لهم بفتح حوانيت بالرغم من ان الحوانيت التي كان يصرح لهم بفتحها كان محددا تحديدا شديدا (لكل طائفة)، كما ان امتلاك حانوت او منح ترخيص لقيام باي عمل تجاري او صناعي كان يسمى في العثمانية (كديك) اما بخصوص الحوانيت فانها باي حال من الاحوال لم تكن ملكا لأصحابها بل انها كانت تشغل مقابل ايجار سنوي يدفع. [88]

وقد كان الابن يحتل مكان ولده اذا كان اهلا لذلك ، ومعنى هذا انه يكون قد وصل الى مرتبة الاسطة وفي منطقة الطائفة بنفسها ،اما اذا لم يكن ذلك متوفرا في الارض فيقوم الورثة ببيع (الكدكيك) الى عضو اخر على ان يكون كفؤا. اما بخصوص الحصول على (الكديكات) الجديدة فلم يكن امرا هينا الا بعد امتلاكه الادوات اللازمة لأجل القيام بحرفته.

اما الكديكات فقد كانت على نوعين:-

الاول: كان يسمح لشاغله بمزاولة مهنته حيثما يشاء.

الثاني: كان يقيده بمكان لا يبرحه[89].

ان حرية العمل كانت محدودة لأعضاء الطائفة ويعود ذلك الى انه هناك طرق كانت تحد من ادارة اعماله ،فلم يكن بالإمكان القيام ببيع اي سلعة بسعر اعلى من السعر الذي تقوم الحكومة بتحديده بصورة دورية ؛ ناهيك ان صاحب الحرفة او التاجر لم يكن باستطاعته القيام ببيع او وضع أي شيء خارج النطاق المسموح به لطائفته ، كما انه لم يكن باستطاعته القيام بأجراء أي تغير في النظام القائم وكان هدف الحكومة من تحديد الاسعار هو حماية المستهلك. وكان باستطاعته اصحاب الصناعات ان يبيعوا بأسعار اقل مما حدد له وقد كانت المنافسة قليلة وخاصة بين اعضاء الطائفة والذين كانت حوانيتهم تقع في شارع واحد او حي واحد[90].(76)

وعلى الرغم من اهمية الاصناف والنقابات في الصناعة في فترة البحث الا انها كانت سبب من أسباب تأخر الصناعة على العموم في العراق وقد عزاه احد الباحثين الى الاتجاه المحافظ الذي تمسكت به الاصناف. اضافة الى معارضة قادتها للتقدم الصناعي واساليب الانتاج الجديدة وخاصة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وهذا ما انعكس على معظم الصناعات والحرف في العراق التي بقيت محافظة على تنظيماتها الحرفية القديمة والتي لازال بعض من ملامحها راسخة في الصناعة الشعبية العراقية[91]

الخاتمة

بقت الحرف والصناعات الشعبية في العراق محافظة على تنظيماتها الحرفية خلال العهد العثماني الاخير ؛ حيث سادت هذا العهد العلاقات الانتاجية البسيطة لم تتناسب مع التطور الذي شهدته الصناعة الحديثة ، لذلك ظلت معظم الحرف و الصناعات الشعبية قائمة على اساس الانتاج الحرفي البسيط لم تتعدى كونها بقايا للحرف البيتية والمنزلية التي كانت سائدة سابقا والتي تدار بالآلات البسيطة والتي كان معظم انتاجها يذهب للاستهلاك المحلي. ونلاحظ ان معظم الصناعات الشعبية ارتبطت بحاجة السكان لتغطي حاجاتهم اليومية ؛ كالصناعات النسيجية و المعدنية و والصناعات الخشبية والجلدية والصناعات الفخارية والخزفية . وفضلا عن الحرف والصناعات الشعبية وكموضوع مكمل لها ظهرت ما يسمى بالأصناف و النقابات الحرفية والتي اعتبرت المؤسسات المنظمة والمحافظة على الصناعات الشعبية ورغم ان نظام الحرف والاصناف قديم التشكيل الا ان وخلال العهد العثماني شهدت النقابات والاصناف تطورا ملحوظا في مؤسساتها وتشكيلاتها بما يتناسب مع التطور الزمني والمكاني الذي شهده واقع الصناعات الشعبية في العراق ، ولعبت الاصناف الحرفية على تنظيم النظم الحرفية والمهنية و إقرار

اسعار عادلة فضلا عن تنظيم المهن وتقسيماتها من حيث تهيئة الحرفي وانتماءه للصنف ؛ وبمعنى آخر عبارة عن نقابة اجتماعية واقتصادية تنظم الهيكل العام لكل حرفة بدءا رئيس الحرفة او شيخها وصولا الى أصغر عامل فيها من حيث الحقوق والواجبات.

تعليقات ختامية :

(1) لطفي الخوري ؛"الحرف اليدوية والتأثير البيئي "،مجلة التراث الشعبي،العددان 5-6،السنة الثالثة 1972، ص 5.
(2) هشام سوادي هاشم ؛ " بغداد أواخر التاسع عشر من خلال رحلة عالي بك الى العراق 1300- 1304 |1882- 1886 "، بحث منشور ضمن اعمال المؤتمر الدولي بغداد (مدينة السلام) في الحضارة الاسلامية، تركيا 2008، (استانبول، 2011)، ص 267.
(3) الخوري، المصدر السابق، ص 5.
(4) عبد الواحد ذنون طه ؛ "مجتمع بغداد من خلال حكاية أبو القاسم البغدادي "،مجلة المورد،المجلد الثالث ،العدد الرابع 1974، ص 14.
(5) عبد الصاحب محمد علي ؛ "صناعة اليزر في السماوة "، مجلة التراث الشعبي، العدد الحادي عشر تموز 1970، ص 61.
(6) طارق نافع الحمداني ؛ ملامح سياسية و حضارية في تاريخ العراق الحديث والمعاصر، (بيروت، 1989)، ص ص 165- 166.
(7) Charles Isawi ; the economic history of middle east 1800-1914 ,(Chicago -1966) ,p 181.
(8) Ibid p , 182.
(9) حسين محمد القهواتي، "الحياة الاقتصادية في العراق من القرن التاسع عشر حتى نهاية العصر العثماني "، نخبة من الباحثين العراقيين، حضارة العراق، الجزء العاشر (بغداد _ 1985) ص 96.
(10) المصدر نفسه، ص 97.
(11) Isawi ؛op.cit. P.182
(12) القهواتي، المصدر السابق، ص ص 97 _98.
(13) جان باتيست تافرنيه، العراق في القرن السابع عشر، ترجمة بشير فرنسيس و كوركيس عواد (بغداد _ 1944) ص ص 102 – 103.
(14) خليل علي مراد ؛ تاريخ العراق الاداري والاقتصادي في العهد العثماني الثاني 1048 – 1164 \ 1638 – 1750 (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد 1975)، ص 361.
(15) مراد، المصدر السابق، ص 258، ويورد سعيد الديوجي قصيدة للحاج علي بن جارالله الموصلي الذي امتهن مهنة الحياكة وفيها وصف جميل ولطيف لما يعانيه العاملون في هذه المهنة قائلا:

جاد الزمان على الحدباء شتتا	في عام خط به تاريخه الغبن
قصرت من بعج أخذ العلم متخذا	أدنى الصنائع اخدم طاقة القطن (اي الخيط الرفيع)
مع الارذال والنسوان مجتمعا	في سوق غزل كأني في سجن
واشتري الغزل من بعض النساء ملقا	والبعض منهم في شيبي يعيرني
أتى اليه دندل الوزن أوزنه (دندل اسم الوزان)	ان لم أبرطله ألاً خان بالوزن
وصاحب المكس حقا مع رفاقته	عليهم من الهي اكبر اللعن
لانهم استباحوا بدعة حدثت	وما أكتفى بعد اخذ المكس يزجر في
وبعده افتل الدولاب شبه نسا	حس صرير من الدولاب دوخني
والنول قرح صدري كاد يخسفه	كعتلة السجن و المثبت جرحني
شاروفة لا شرف الله قدر صاحبها	تكاد في زيجل المعود تصلبني،

انظر: سعيد الديوه جي ؛ اعلام الصناع المواصلة،(الموصل – 1970) ص ص 61 -63، ويصف الرحالة البريطاني جيمس بكنغهام الذي زار العراق في العقد الثاني من القرن التاسع الحالة المزرية للحرفيين لاسيما العاملين في الصناعات النسيجية ويذكر خلال زيارته للموصل ان النساجين يقطنون منازل بسيطة نصفها تحت الارض والجزء الاسفل منها مغلف اثناء النهار حيث تصف فيها مكائن الانتاج والمنتوج النسيجي بينما يرقدون على سطوحها ليلا , ينظر: جيمس بكنغهام، رحلتي الى العراق سنة 1816، ترجمة سليم طه التكريتي، ج 1 (بغداد _1968) ص 61.
(16) مراد، المصدر السابق، ص 258.
(17) المصدر نفسه 259.
(18) كاثلين أم لانكلي؛ تصنيع العراق، ترجمة محمد حامد الطائي وخطاب صكار العاني، (بغداد، 1963)45.

(19) هو رحالة برتغالي زار العراق في القرن السابع عشر وزار معظم المدن العراقية ومنها بغداد و البصرة والنجف و كربلاء واصفا في رحلته اوضاع السكان وطريقة عيشهم واصفا الحياة العامة والاسواق والبضائع التي كانت منتشرة واهم الصناعات التي كانت منتشرة وأهم ما ذكره هو تنظيم القوافل التجارية التي افرد لها صفحات عديدة من رحلته

في الكلام عنها. لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع الى ما كتبه في رحلته: سارا سيرايت، "رحلة البرتغالي تاكسيرا الى العراق في القرن السابع عشر "، ترجمة فؤاد قزانجي، مجلة المورد، المجلد الثامن عشر، العدد الرابع، 1989، ص ص 246 -249.

(20) بيدرو تكسيرا،" مشاهدات تكسيرا في العراق سنة 1604 "، لخصها عن الانكليزية جعفر الخياط، مجلة الاقلام،الجزء الرابع،السنة الاولى، كانون الاول 1964، ص 145 ؛ الحقيقة نرى بان العدد الذي اورده تكسيرا مبالغ به اذ ما قورن بالأرقام التي اوردها الرحالة الاخرون الذين زاروا العراق خلال القرنين السابع عشر و الثامن عشر. وللوقوف على المقارنة ما بين تناقض الارقام ينظر على سبيل المثال لا الحصر : دومنيكو لانزا ، الموصل في القرن الثامن عشر، (الموصل _ 1953) ؛ جاكسون، مشاهدات بريطاني في العراق سنة 1797، ترجمة سليم طه التكريتي (بغداد _ ت د).

(21) لانزا، المصدر السابق، ص 15.

(22) جريدة صدى بابل العدد 33، ربيع الاول 1328 / 1910.

(23) محمد سلمان حسن، التطور الاقتصادي في العراق، ج1 (بيروت،د ت) ص 281 ؛ كاثلين ا م لانكلي، تصنيع العراق، ترجمة محمد حامد الطائي و خطاب صكار العاني (بغداد _1963) ص 45.

(24) سعاد هادي العمري، بغداد كما وصفها السواح الاجانب في القرون الخمسة الاخيرة (بغداد _1954) ص و ص 38 و 39 و 51.

(25) جوني يوسف حنا، تاريخ الصناعة الوطنية وعلاقتها بالتطور السياسي في العراق 1929 -1958 (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل 1989) ص 19.

(26) رسول، المصدر السابق ن ص 93.

(27) بسبب انتشار زراعة القطن و الكتان في ولاية الموصل كانت صناعة النسيج بأنواعها المختلفة تمثل أهم الصناعات القائمة فيها حيث كانت تجارة الاقمشة القطنية تحتل مكانا مهما من تجارتها مع مختلف الجهات وكانت زراعة القطن والكتان تكثر في المناطق المحيطة بالموصل واشتهرت بنسيجها القطني المعروف (بالموسلين) وهي تسمية اطلقها الاوربيين على النسيج القطني الغالي المنتج في الموصل، التي كانت تحوي على مصانع كثيرة للنسيج والحياكة والصباغة وطباعة النقوش وبهذا الصدد يذكر الرحالة ايفز Ivesالذي زار الموصل حوالي منتصف القرن الثامن عشر ان الموصل "تنتج كميات جيدة من الموسلين وهو قماش متين وناعم جدا" وان الكثير من اهل الموصل يشتغلون بهذه الحرفة. ينظر: مراد، المصدر السابق، ص 255 ؛ لانزا، المصدر السابق ن ص 15 ؛ سعيد الديوه جي، المصدر السابق ، ص ص 38_39.

(28) الحمداني، المصدر السابق، ص 168.

(29) المصدر نفسه.

(30) وتطلق لفظة الجوم او الجومي او الجومة على عدة الحياكة ككل كما تطلق على الحفرة التي توضع فيها الدواسات التي يوضع فوقها النول الامامي و الدفة و يبلغ طول الحفرة زهاء ذراع ونصف وعرضها مثل ذلك و يثبت النول الخلفي بعد قليل من الحفرة. عبدالباري عبدالرزاق النجم، "حياكة البسط في الموصل "، مجلة التراث الشعبي ن العدد الاول، السنة الثالثة،1971، ص 175.

(31) فوزي رسول ؛ " حرفة الحياكة اليدوية في الكاظمية "مجلة التراث الشعبي، العدد الثالث، السنة الثالثة 1971، 85

(32) النجم، المصدر السابق، ص176 ؛ جواد عبد الرضا ابو الحب ؛ " عالم السجاد، مجلة التراث الشعبي، العددان 11-12 تموز – آب 1971. ص 71.

(33) رسول،المصدر السابق، ص88.

(34) المصدر نفسه. ص 88

(35) المصدر نفسه، ص 89.

(36) النجم، المصدر السابق، ص 179.

(37) المصدر نفسه، ص 178.

(38) رسول، المصدر السابق، ص 90.

(39) المصدر نفسه، ص 90.

(40) حنا، المصدر السابق، ص 23 .

(41) المصدر نفسه.

(42) حسن، المصدر السابق ص 283 ؛ ولتوضيح تأثير تجارة الاستيراد في تدهور الصناعات الشعبية يشير محمد سلمان حسن الى ارتفاع استيراد المصنوعات النسيجية من 94 الف دينار عام 1865 الى 520 الف دينار بين عامي 1889 _ 1895 ، ولذلك سعى الحرفيون الى بذل جهود كبيرة في مواجهة هذا التحدي فسعو الى تطوير صناعتهم باستيراد الانوال اليدوية من اوربا ويذكر القنصل البريطاني في بغداد سنة 1908 انه تشكلت شركة في بغداد لتنظيم ولتشجيع صناعة الحياكة بواسطة الانوال التي تنتج الحرير والسلع القطنية كما وتشير احدى الوثائق البريطانية الى صناعة

النسيج سرعان ما تدهورت واخذ الحرفين بممارسة اعمالهم في بيوتهم بعد سيطرة البضائع النسيجية المستوردة على الاسواق. ينظر: حسن، المصدر نفسه ؛ جوني، المصدر السابق، ص ص 23 _ 24.

(43) سوق الصفافير او الصفارين ويكنى العامل بهذه بلقب الصفار وترجع تسميته نسبة للصفر وهو معدن النحاس، حيث يشتهر هذا السوق بصناعة الصحون والاواني النحاسية وتعود بدايات هذا السوق الى العهد العباسي و أول اشارة له وردت كما يذكر الدكتور عماد عبد السلام رؤوف في وقفية تعود الى سنة 1687 و وقفية ثانية يعود تاريخها الى سنة 1746 و ورد اسمه فيها باسم سوق الصفافير وبقي يعرف به الى وقتنا الحالي. لمزيد من التفاصيل ينظر: عماد عبدالسلام رؤوف،الاصول التاريخية لأسماء محلات بغداد (بغداد _ 1994).

(44) وكان معظم النحاس المستخدم في هذه المهنة يستورد من بعض المدن التي يكثر فيها ومنها الموصل التي كانت تصدر النحاس الخام الى بغداد والبصرة عن طريق نهر دجلة ويشير الرحالة الانكليزي جاكسون الى وجود معامل للنحاس في الموصل شاهدها ابان زيارته للمدينة . ينظر: مراد، المصدر السابق، ص256 ؛ جاكسون، المصدر السابق، ص 73.

(45) فاضل شاكر احمد ؛ " صناعات النحاس الشعبية "، مجلة التراث الشعبي، العددان 11 – 12 تموز – آب 1971، ص 59.

(46) المصدر نفسه، ص 60.

(47) المصدر نفسه.

(48) المصدر نفسه، ص 61.

(49) جلال الحنفي، الصناعات والحرف البغدادية، (بغداد _ 1966) ص 48.

(50) ازهر العبيدي،(جمع واعداد) ؛ الموصل في القرن العشرين صور فوتوغرافية (الموصل، 2010)، ص55.

(51) مراد، المصدر السابق، ص

(52) جون غوردن لوريمر، دليل الخليج، القسم الجغرافي، الجزء الثالث، ترجمة مكتب الترجمة بديوان حاكم قطر (الدوحة د ت) ص 993.

(53) حنا، المصدر السابق، ص 20 ؛ وبهذا الصدد يشير طه الهاشمي الى ان بعض منتجات بغداد من المصنوعات الجلدية كان يزيد عن حاجة السوق لاسيما سروج الخيل والاحذية مما يدفع التجار الى تصديره الى اسواق المدن القريبة.ينظر: طه الهاشمي، مفصل جغرافية العراق (بغداد _ 1930) ص 401.

(54) صدى بابل، العدد 37، 1910.

(55) اديبة الخميسي ؛" اضواء على صناعة الصياغة عند الصابئة "، مجلة التراث الشعبي، العدد 5 و 6، السنة الثالثة 1972، ص 57.

(56) تافرنيه، المصدر السابق، ص 103 ؛ مراد،المصدر السابق، ص 257..

(57) مادة الميناء وهي من معدن السيليكا المكون الاساسي للزجاج وهي مادة على هيئة مسحوق مضاف اليها أكاسيد معادن اخرى لتعطي لها الوان مختلفة ببساطة الطلاء بالميناء هو تغطية مساحات من المعادن بهذه المادة لتتحول بعد معالجتها حراريا الى طبقة زجاجية صلبة تقاوم الخدش والحرارة. واستخدمت الميناء في الفنون العثمانية ويذكر احد الباحثين ان عدد الحرفيين الذين كانوا يعملون في طلاء الميناء في بلاط السلطان العثماني في القرن السادس عشر اكثر من مئة حرفي. لمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع يمكن الرجوع للدراسة المهمة التي وضعها: Marilyn Jenkins and Manuel Keen: Jewelry in the metropolitan museum of art (New York– 1982) pp 81- 86.

(58) John.P.Newman , the thrones and places , Babylon and Nineveh , (New York, 1876) , p, 215.

(59) هي احدى الادوات الخشبية الاساسية القديمة التي كان يستخدمها الفلاح في الحصاد فبواسطتها كان الفلاح يعزل غلالة الحنطة او الشعير او الرز او الحمص او العدس فتنعزل الغلة في طرف وبقايا الغلة في الطرف الثاني. ينظر غانم حنا نجار، "المذراة الخشبية " ، مجلة التراث الشعبي، ملحق خاص عن الحرف والصناعات الشعبية في العراق ن 1980، ص ص 146 _ 151 .

(60) احمد عبدالله الهيتي ؛" من الحرف اليدوية في هيت "، العدد 9، أيار1970، ص ص 84-86 ؛ ياسين النصير ؛" صناعات شعبية "، مجلة التراث الشعبي، العددان 3 – 4، 1984، ص 102.

(61) عرفت الاكلاك منذ العهد البابلي القديم حيث استخدمت لنقل الحبوب والاخشاب وبعض المواد الاخرى وكانت كبيرة الحجم ؛ انظر: رضا جواد الهاشمي ،الملاحة النهرية في بلاد وادي الرافدين " مجلة سومر، العدد 37، 1987، ص ص 41-46.

(62) ويسمى بالكدر وهو لحاء شجر الصفصاف او القنب الطرية الملوية على بعضها ويكون قطر الحبل من 3 -4 سم. انظر: شعبان رجب الشهاب ؛ " الاكلاك مهنة فلكلورية نهرية ، مجلة التراث الشعبي، العدد 7، 1975، ص 100.

(63) فالح السيد احمد ؛ " يا كلك ودي يا كفل جيب "، مجلة التراث الشعبي، العدد الاول، ايلول 1970، ص 38.
(64) الشهاب، المصدر السابق، ص 102
(65) كاظم الدجيلي ؛ " السفن في العراق "، مجلة لغة العرب، الجزء الثالث، ايلول 1912، ص ص 94 -96؛ جبار الجويبراوي ؛ "صناعة الزوارق في ميسان " مجلة التراث الشعبي، العددان 8 – 9،1975، ص 77.
(66) كاظم الدجيلي ؛ " أشباه السفن في العراق " مجلة لغة العرب، المجلد الثاني، 1913، ص ص 154- 155.
(67) أوليفييه ؛ رحلة أوليفييه الى العراق 1794 – 1796، ترجمة يوسف حبي، (بغداد، 1988)، ص 85.
(68) الدجيلي، اشباه السفن، ص 155.
(69) الحنفي، المصدر السابق، ص 57. والحقيقة نجد ان الكثير من الاسر التي امتهنت هذه المهنة تلقبوا بهذا الاسم ومنها اسرة الكواز في الموصل و بغداد ،والباحث في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للعراق في العهد العثماني يلاحظ وجود ظاهرة تسميه الاسرة بأسم الحرفة او المهنة التي يحترفها او يمتهنها ابناء هذه الاسرة ويبدو ان السبب في ذلك هو استمرار الابناء في امتهان حرفة الآباء و التواصل فيها مثل بيت النجار او الصفار والرسام وغيرها. وكنموذج لدراسة هذا الموضوع يمكن الرجوع الى: سجى قحطان محمد علي قبع، الحياة الاقتصادية و الاجتماعية في الموصل من خلال كتابات الرحالة في العهد العثماني 1516 _1918 (اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الاداب، جامعة الموصل 2010) ص 166.
(70) جبار الجويبراوي ؛ " صناعة الفخار قديما وحديثا "، مجلة التراث الشعبي، العدد الاول، السنة الثامنة،1977، ص و ص 74 و 77.
(71) جواد عبد الزهرة الزبيدي، " الخزف في العراق قديما وحديثا " مجلة التراث الشعبي، العددان 3 – 4، 1984، ص ص 19 -28.
(72) سلمان هادي الطعمة، " مظاهر الحياة الشعبية في كربلاء " مجلة التراث الشعبي، العدد الثالث، تشرين الثاني 1971، ص ص 104 – 106.
(73) مجلة التراث الشعبي، ملحق خاص عن الحرف والصناعات الشعبية في العراق ن 1980، صفحات متعددة.
(74) مراد، المصدر السابق، ص 256.
(75) المصدر نفسه.
(76) يعقوب سركيس ؛ مباحث عراقية في الجغرافية والتاريخ والاثار، القسم الثاني، (بغداد، 1955)، ص 235.
(77) كمال مظهر احمد، الطبقة العاملة العراقية التكوين وبدايات التحرك (بيروت _ 1988) ص 68.
(78) الصنف لغة الطائفة من كل شيئ وقد استخدمت من قبل المؤرخين القدامى كاليعقوبي والطبري والخطيب البغدادي وغيرهم للدلالة على الجماعات الحرفية في المجتمع الاسلامي وقد تستخدم كلة (كار) الفارسية التي تعني الشغل والعمل بدلا منها ؛ لمزيد من التفاصيل ينظر: عبد العزيز الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، (بيروت، 1987) ص 132 ؛ صباح ابراهيم الشيخلي: " التنظيمات الحرفية في العراق في العصر العباسي "، مجلة التراث الشعبي، السنة السابعة و الثلاثون، 2006،ص 4 _ 13. والحقيقة ليست لدينا معلومات واضحة و مفصلة عن الاصناف وتنظيماتها حتى القرن التاسع عشر في الولايات العراقية الا ان لدينا معلومات واضحة عن تنظيمات الاصناف في المدن الولايات العثمانية كدمشق واستانبول وغيرها وان المعلومات التي تقدمها المصادر بشان الاصناف تشير الى ان هذا النظام لم يكن يختلف كثيرا عما كان موجودا في الولايات الاخرى من تنظيمات مماثلة سوى من ناحية القلة العددية، فقد كان في الموصل على سبيل المثال شيخ الاصناف السبعة الذي يمكن تشبيهه بشيخ المشايخ في المدن الاخرى . ينظر: مراد، المصدر السابق، ص 363.
(79) شكلت النقابات محور الحياة الاقتصادية في الولايات العربية في العهد العثماني وتعني النقابات (المجموعة) و الحقيقة ادرك المؤرخون اهمية النقابات في الاقتصاد العثماني ؛ الا ان مسألة اصولها و وظيفتها في المجتمع العثماني خضعت لمراجعة كبيرة خلال العقود القليلة السابقة، واصبحت النقابات رابطا مهما بين الشرائح الاقتصادية والحكومات في الولايات العربية، ويرى بعض المؤرخون ان النقابات كانت سلاح ذو حدين حيث اعتبرتها الحكومات سندا لحكمها ؛ اذ تمكنت النقابات من جلب الضرائب للحكومة و تعبئة السكان في اوقات الكوارث.
للمزيد ينظر: بروس ماسترز، عرب الامبراطورية العثمانية 1516 _ 1918 تاريخ ثقافي و اجتماعي، ترجمة عبد الحكيم ياسين عبدالله (بيروت _ 1918) ص 107 وما بعدها
(80)عماد عبد السلام رؤوف، الموصل في العهد العثماني فترة الحكم المحلي (1726 1834)،(النجف، 1975) ص 291.
(81) المصدر نفسه.
(82) محمد انيس ورجب حراز، الشرق العربي في التاريخ الحديث، (القاهرة، 1967) ص 54.
(83) رؤوف، المصدر السابق، ص 291.
(84) جاسم محمد هادي القيسي، احوال العراق الاقتصادية والاجتماعية 1831 – 1869 (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة بغداد 1989) ص 75.

(85) المصدر نفسة، ص 76.
(86) لمزيد من التفاصيل الرجوع الى: ياسين، المصدر السابق، ص ص 48 _ 56.
(87) عماد عبد السلام رؤوف، " الملامح الاجتماعية لنظام الاصناف في العراق ابان العهد العثماني (زغوان _ 1986) ص 447.
(88) المصدر نفسه، ص 447
(89) المصدر نفسه، ص 447 ؛
(90) زيفي يهودا هير شلاغ، مدخل الى التاريخ الاقتصادي الحديث للشرق الاوسط، ترجمة مصطفى الحسيني، (بيروت، 1973) ص ص 30 -31.
(91) المصدر نفسه، ص 31.

List of source and references

1. Ltfi Al-Khoury: “Handcrafts and Environmental Impact”, Popular Heritage Magazine, Nos. 5-6, third year 1972
2. Hisham Sawadi Hashem; "Baghdad at the end of the nineteenth century through Ali Bey's journey to Iraq 1300-1304 | 1882-1886", a research published within the proceedings of the International Conference Baghdad (City of Peace) in Islamic Civilization, Turkey 2008, (Istanbul, 2011)
3. Abdul Wahed Zun Taha; Baghdad society through the story of Abu al-Qasim al-Baghdadi, Al-Mawred Magazine, Volume III, Issue IV 1974
4. Abdul Sahib Muhammad Ali; "The Laser Industry in Samawah", Al-Turath Al-Sha'bi magazine, the eleventh issue, July 1970
5. Tariq Nafeh Al-Hamdani; Political and Civilized Features in the Modern and Contemporary History of Iraq, (Beirut, 1989),
6. Hussein Muhammad al-Qahwati, “Economic Life in Iraq from the Nineteenth Century to the End of the Ottoman Era,” a group of Iraqi researchers, Civilization of Iraq, Part Ten (Baghdad - 1985).
7. Jean-Baptiste Tavernier, Iraq in the seventeenth century, translated by Bashir Francis and Corgis Awad (Baghdad_1944)
8. Khalil Ali Murad; The Administrative and Economic History of Iraq in the Second Ottoman Era 1048 - 1164 / 1638 - 1750 (Unpublished Master's Thesis, College of Arts, University of Baghdad 1975).
9. Saeed Al-Dewaji; Flags of the makers of the continuity, (Mosul - 1970)
10. James Buckingham, My Journey to Iraq in 1816, translated by Salim Taha Al-Tikriti, Part 1 (Baghdad_1968).
11. Kathleen M. Lankley; The Industrialization of Iraq, translated by Muhammad Hamid Al-Taie and the speech of Sakkar Al-Ani, (Baghdad, 1963)
12. Jean-Baptiste Tavernier, Iraq in the seventeenth century, translated by Bashir Francis and Corgis Awad (Baghdad_1944)
13. Khalil Ali Murad; The Administrative and Economic History of Iraq in the Second Ottoman Era 1048 - 1164 / 1638 - 1750 (Unpublished Master's Thesis, College of Arts, University of Baghdad 1975).
14. Saeed Al-Dewaji; Flags of the makers of the continuity, (Mosul - 1970)
15. James Buckingham, My Journey to Iraq in 1816, translated by Salim Taha Al-Tikriti, Part 1 (Baghdad_1968).
16. Kathleen M. Lankley; The Industrialization of Iraq, translated by Muhammad Hamid Al-Taie and the speech of Sakkar Al-Ani, (Baghdad, 1963)

17. Sarah Serright, “The Journey of the Portuguese Taxira to Iraq in the Seventeenth Century,” translated by Fouad Kazanji, Al-Mawred Magazine, Volume Eighteen, Issue Four, 1989
18. Pedro Tasikira, “Observations of Tasikira in Iraq in the year 1604”, summarized by Jaafar Al-Khayat from the English language, Al-Aqlam Magazine, Part IV, Year One, December 1964
19. Domenico Lanza, Mosul in the Eighteenth Century, (Mosul - 1953); Jackson, Observations of a Briton in Iraq in 1797, translated by Salim Taha Al-Tikriti (Baghdad_Td).
20. Muhammad Salman Hassan, Economic Development in Iraq, Part 1 (Beirut, DT)
21. Kathleen M. Lankley, The Manufacturing of Iraq, translated by Muhammad Hamid Al-Tai and Khattab Sakkar Al-Ani (Baghdad_1963)
22. Suad Hadi Al-Omari, Baghdad as described by foreign tourists in the last five centuries (Baghdad - 1954).
23. Johnny Youssef Hanna, History of the National Industry and its Relationship to Political Development in Iraq 1929-1958 (Unpublished Master's Thesis, College of Arts, University of Mosul 1989).
24. Abd al-Bari Abd al-Razzaq al-Najm, “rugs weaving in Mosul,” Popular Heritage Magazine, issue one, third year, 1971.
25. Fawzi Rasoul; “The Craft of Hand Knitting in Al-Kadhimiya.” Popular Heritage Magazine, third issue, third year 1971.
26. Jawad Abd al-Ridha Abu al-Hob; The World of Carpets, Popular Heritage Magazine, Issues 11-12 July-August 1971.
27. Imad Abdul Salam Raouf, The Historical Origins of the Names of Baghdad Stores (Baghdad _ 1994).
28. Fadel Shaker Ahmed; “Popular Copper Industries”, Popular Heritage Magazine, issues 11-12 July-August 1971.
29. Jalal Al-Hanafi, Baghdadi Industries and Crafts, (Baghdad _ 1966).
30. Azhar Al-Obaidi, (collection and preparation); Mosul in the Twentieth Century Photographs (Mosul, 2010),
31. John Gordon Lorimer, Gulf Guide, Geographical Section, Part III, translation of the Translation Office at the Court of the Ruler of Qatar (Doha DT).
32. Taha Al-Hashimi, Detailed Geography of Iraq (Baghdad-1930).
33. Adiba Al-Khamisi, “Lights on the Craftsmanship of the Sabeans,” Popular Heritage Magazine, No. 5 and 6, third year 1972.
34. Ghanem Hana Najjar, “The Wooden Pitchfork”, Popular Heritage Magazine, a special supplement on folk crafts and industries in Iraq, 1980.
35. Ahmad Abdullah Al-Hiti, "From the Handicrafts of Hit", Issue 9, May 1970.
36. Yassin Al-Naseer: “Popular Industries”, Al-Turath Al-Sha’bi magazine, Nos. 3-4, 1984.
37. Reda Jawad Al-Hashimi, River Navigation in Mesopotamia, Sumer Magazine, No. 37, 1987.
38. Faleh Elsayed Ahmed; “Ya Kalak and Wady Ya Kifl Jeb”, Popular Heritage Magazine, first issue, September 1970.
39. Kazem Al-Dujaili; "Ships in Iraq", Language of the Arabs Magazine, Part Three, September 1912.
40. Jabbar Al-Guibrawi; “The Boat Industry in Maysan.” Popular Heritage Magazine, Issues 8-9, 1975.
41. Kazem Al-Dujaili; “Semi-ships in Iraq.” The Language of the Arabs Magazine, Volume Two, 1913.

42. Olivier; Olivier's Journey to Iraq 1794-1796, translated by Youssef Habi, (Baghdad, 1988).
43. Saja Qahtan Muhammad Ali Qaba, The Economic and Social Life in Mosul through the Writings of Travelers in the Ottoman Era 1516-1918 (unpublished doctoral thesis, College of Arts, University of Mosul 2010).
44. Jabbar Al-Guibrawi; "The Pottery Industry, Old and New", Popular Heritage Magazine, Issue One, Eighth Year, 1977.
45. Jawad Abdul-Zahra Al-Zubaidi, “Ceramics in Iraq, Old and New,” Al-Turath Al-Sha’bi magazine, Nos. 3-4, 1984.
46. Salman Hadi Al-Ta’mah, “Manifestations of Popular Life in Karbala,” Al-Turath Al-Sha’bi magazine, third issue, November 1971.
47. Popular Heritage Magazine, a special supplement on popular crafts and industries in Iraq, 1980, multiple pages.
48. Jacob Sarkis; Iraqi Investigations in Geography, History and Archeology, Part Two, (Baghdad, 1955).
49. Kamal Mazhar Ahmed, The Iraqi Working Class: Formation and Beginnings of Movement (Beirut - 1988)
50. Abdel Aziz Al Douri, An Introduction to Arab Economic History, (Beirut, 1987)
51. Sabah Ibrahim Al-Sheikhly: “The Craft Organizations in Iraq in the Abbasid Era,” Al-Turath Al-Sha’bi magazine, thirty-seventh year, 2006.
52. Bruce Masters, The Arabs of the Ottoman Empire, 1516-1918, a cultural and social history, translated by Abdul Hakim Yassin Abdullah (Beirut _ 1918).
53. Imad Abdul Salam Raouf, Mosul in the Ottoman Era, the Local Rule Period (1726-1834), (Najaf, 1975).
54. Muhammad Anis and Rajab Haraz, The Arab East in Modern History, (Cairo, 1967).
55. Jassim Muhammad Hadi Al-Qaisi, Economic and Social Conditions of Iraq 1831-1869 (unpublished MA thesis, College of Arts, University of Baghdad 1989).
56. Emad Abdel Salam Raouf, “The Social Features of the Order of Items in Iraq during the Ottoman Era (Zaghouan _ 1986).
57. Zvi Yehuda Hare Schlag, An Introduction to the Modern Economic History of the Middle East, translated by Mustafa Al-Husseini, (Beirut, 1973).
58. Charles Isawi, the economic history of middle east 1800-1914 (Chicago -1966 5Marilyn Jenkins and Manuel Keen: Jewelry in the metropolitan museum of art (New York, 1982).
59. John, P. Newman, the thrones and places, Babylon and Nineveh (New York, 1876)

(الأشكـــــــال)

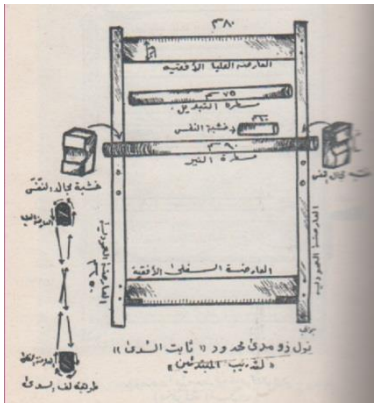

الشكل رقم (1) مخطط لنول حياكة تقليدي

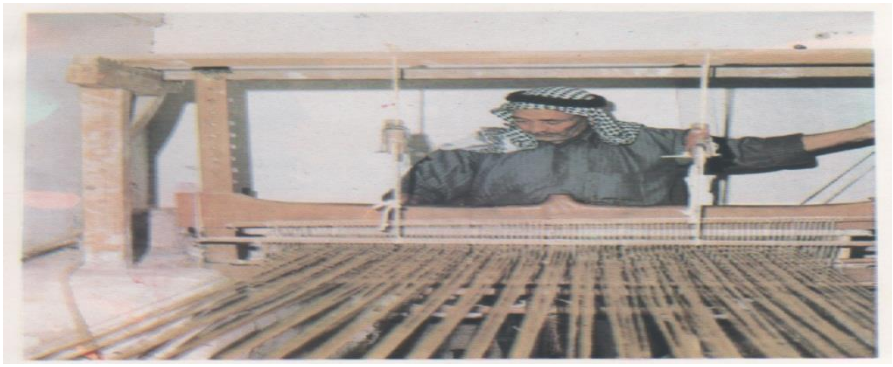

شكل رقم 2 (آلة حياكة وفيها يظهر الحلق والدجتان)

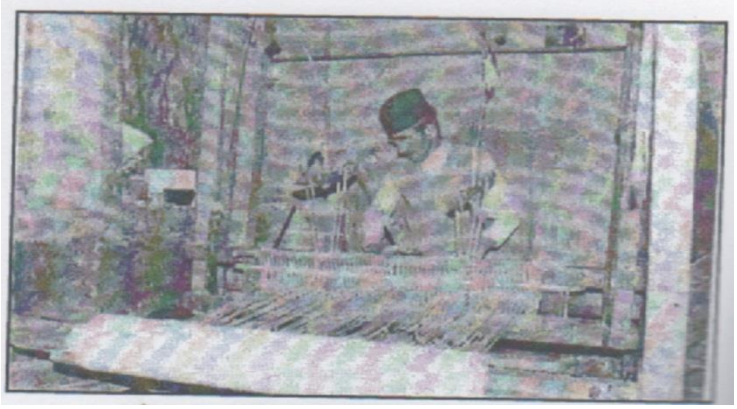

شكل رقم 3 (صورة تظهر شكل الدفة وكيفية مسك الحائك لها)

شكل رقم 4 (المكوك في آلة حياكة قديمة)

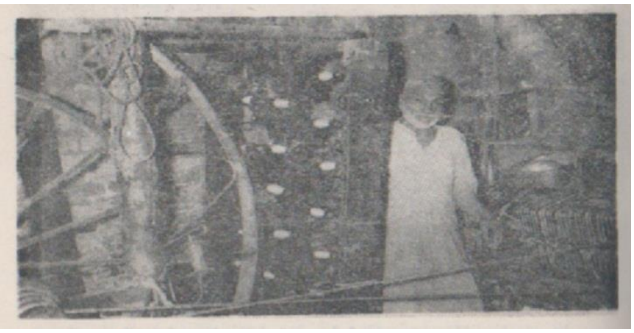

شكل رقم 5 (صورة تظهر بكرات الغرغر في آلة حياكة)

شكل رقم 6 (سوق الصفارين " الصفافير " في بغداد اواخر العهد العثماني)

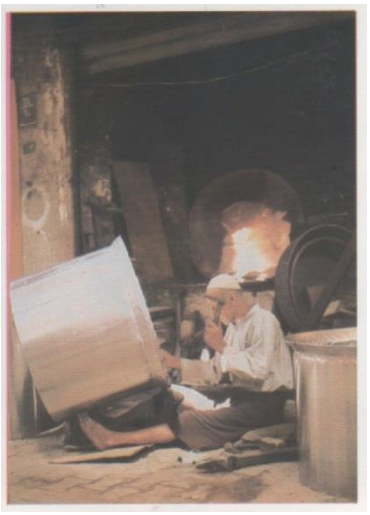

شكل رقم 7 (قدر كبير " العرابي ")

شكل رقم 8 (نماذج لمصنوعات نحاسية)

شكل رقم 9 (صورة لنقش ديني على قطعة نحاسية)

شكل رقم 10 (دكان البرادعي في سوق الموصل مطلع القرن الماضي)

شكل رقم 11 (الدبغاخانة في الموصل مطلع القرن الماضي)

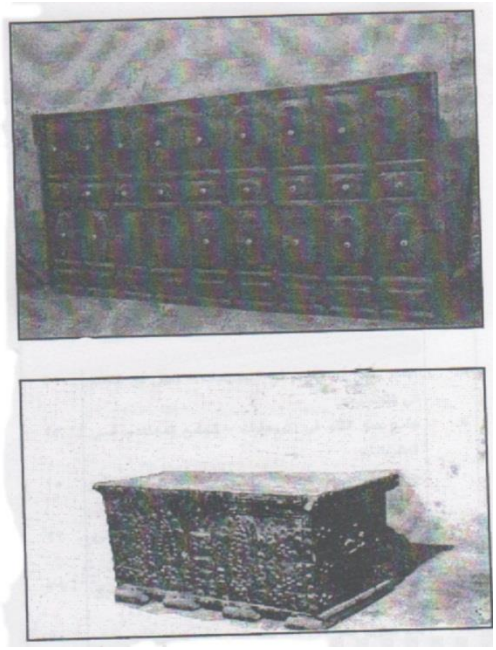

شكل رقم 12 (صورتان تمثلان الجامخانة او الصندلية والصندقجة)

شكل رقم 13 (الاكلاك على نهر دجلة في الموصل)

شكل رقم 14 (القفة في بغداد)

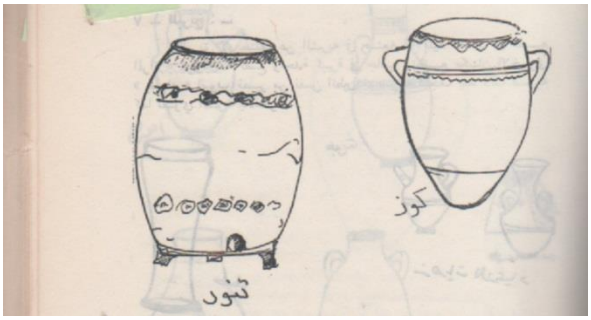

شكل رقم 15 (كوز الماء وتنور للخبز)

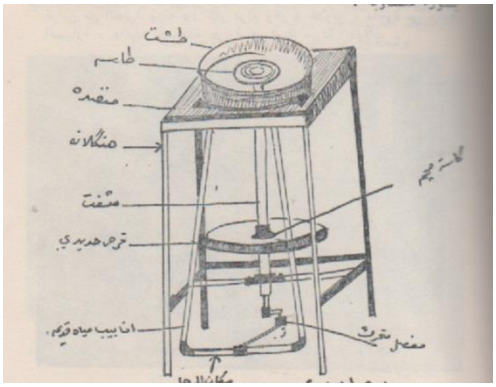

شكل رقم 16 (مخطط دولاب لصنع الفخار)

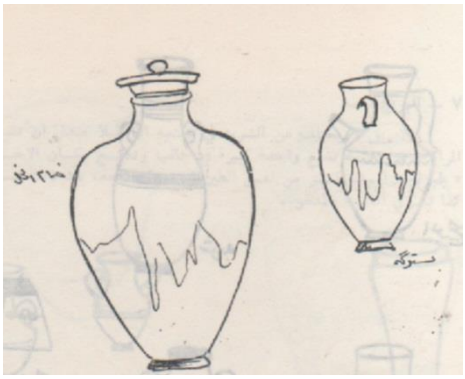

شكل رقم 17 (البستوكة او البرنية)

شكل رقم 18 (رؤوساء صنفي الزفرجية والاطرقجية)